رسالةُ
قاطعُ البرهانِ
ليتَّضحَ الفريقانِ

تأليفُ

شهيدُ المُحدِّثينَ العلَّامةُ السَّيِّدُ الميرزا محمَّدُ بنُ عبدِ النَّبيِّ

النَّيشابوريُّ الخراسانيُّ الملقَّبُ بـ" جمالِ الدِّينِ"

المُستشهدُ ببلدةِ الكاظمَينِ سنة ١٢٣٢ هـ

تحقيقُ : أبو الحسنِ عليُّ بنُ جعفرِ بنِ مكيٍّ آل جسَّاسٍ

[معلوماتٌ عن الرِّسالةِ]

رسالةٌ أوردهَا المصنِّفُ في إحدى مجلَّداتِ من تسليةِ القلوبِ الحزينةِ [١] ؛ وجاءَ هذا العنوانُ في **أوَّلِـهَا** ـ بعدَ البسملةِ والحمدلةِ والتَّسليمِ ـ : « فلمَّا كانت رحى أمَّةِ الظَّنِّ والتَّخمينِ تدورُ على قوانينَ ؛ أصولُهَا أربعةٌ هيَ قوائمُ عَسْكَر ؛ وَجَبَ علينَا عقرُ تلكَ القوائمِ بـ " قاطعِ البرهانِ ليتَّضِحَ الطَّريقانِ ويتميَّزَ الفريقانِ "...» إلخ.

وذكرَهَا ابنُهُ الميرزا عليٌّ في الوجيزةِ [٢] بعنوانِ " **رسالةٌ في جوابِ الأصولالأربعةِ لأمَّةِ التَّظنِّي** " ، وهذهِ الأصولُ : **أوَّلـهُا** : قولُهُم : " **المرءُ متعبِّدٌ بظنِّه** " وثانيهَا : قولُهُم : "**كلامُ الميِّتِ كالميِّت**"، وثالثُهَا : قولُهُم : " **هذا ما أدَّى ظنِّي** " ورابعُهَا : قولُهُم : " **الخبرُ محتملٌ للصِّدقِ والكذبِ** " .

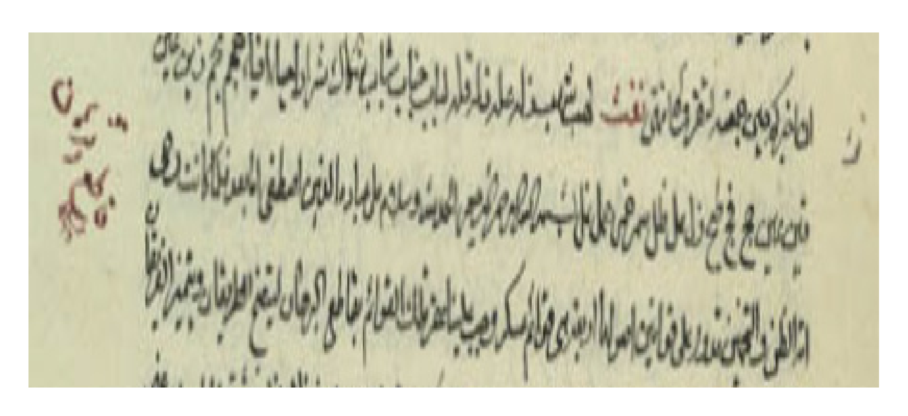
وقد اعتمدنَا في التَّحقيقِ على النُّسخةِ الواردةِ في تسليلةِ القلوبِ .

---

(١) تسليةُ القلوبِ الحزسنةِ مجلَّدِ طُمسَ رقمُهُ ويبدو أنهُ الثَّامن : **٣١٨ ، ٣١٩** المخطوطُ .

(٢) الوجيزةُ : ص**٢٠** : رقم **٦٤** . .

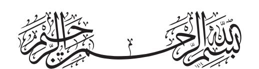
[صورٌ منَ المخطوطِ]



صورةُ بدايةِ الرِّسالةِ كما في مجلدِ تسليةِ القلوبِ

صورةُ بدايةِ الرِّسالةِ كما في مجلدِ تسليةِ القلوبِ

[المُقدَّمة]



الحمدُ للهِ وسلامٌ على عبادهِ الَّذينَ اصطفى ، أمَّا بعدُ :

فلمَّا كانَت رحى أمَّةِ الظَّنِّ والتَّخمينِ تدورُ على قوانينَ ؛ أصولُهَا أربعةٌ هيَ قوائمُ عَسْكَر ؛ وَجَبَ علينَا عقرُ تلكَ القوائمِ بـ " **قاطعِ البرهانِ ليتَّضِحَ الطَّريقانِ ويتميَّزَ الفريقانِ** " .

[الأصلُ الأوَّلُ لأهلِ الظَّنِّ]

الأوَّلُ : قولُهُم : " المرءُ متعبِّدٌ بظنِّهِ " .

وقد زعمَهُ بعضُ الغاغةِ حديثٌ ، ولا من ذلكَ في قديمٍ ولا حديثٍ .

وفهذا **لا يخلو من شقَّينِ** :

إمَّا **معلومٌ** غيرُ مطنونٍ فالعملُ بهِ ينافي العملُ بهِ .

وإمَّا **مظنونٌ** فيدورُ العملُ بالظَّنِّ .

[الأصلُ الثَّاني]

الثَّانيةُ : قولُهُم : " كلامُ الميِّتِ كالميِّتِ "

وهذا كـلامُ المـيِّتِ العملُ بهِ يستلزمُ تـركُ العملِ بهِ ، وما كانَ كذلكَ ففســادهُ بيِّــنٌ مثل قولِهم : " **ما مِن عامٍّ إلَّا وقد خُصَّ** " فإنَّهُ أيضاً بنفسهِ منتقض؛ فتبيَّن به .

[الأصلُ الثَّالثُ]

الثَّالثةُ : قولُهم : " هذا ما أدَّى إليهِ ظنِّي ، وكلُّ ما أدَّى إليهِ ظنِّي فهذا حكمُ اللهِ في حقِّي وحقِّ مَن قلَّدني قطعاً " .

وحينئذٍ على دعواهُم يكونُ العملُ بالقطعِ ؛ وهوَ ينافي ما زعموهُ من " **أنَّ المرءَ متعبِّدٌ بظنِّهِ** " ، و " **أن بابَ العلمِ والتَّكليفِ مسدودٌ ، والمدارَ على الظَّنِّ** " ،

وبهذِهِ **القواعدِ الثَّلاثِ** هدموا ما بناهُ سلفُهُم الماضون ؛ وألجأوا النَّاسَ إلى عبادتِهم وهم لا يشعرونَ .

[الأصلُ الرَّابعُ]

الرَّابعةُ : قولُهم : " الخبرُ يحتملُ الصِّدقَ والكذبَ " .

ثمَّ **الاحتمالُ** من المعقولاتِ الثَّانويَّةِ يلحقُ بالخبرِ لا من حيثُ هوَ بل من حيثُ الإخبارِ المطلقِ ، معَ قطعِ النَّظرِ عن مخبرِهِ ومضمونِهِ وحافظِهِ وقيِّمِهِ والغرضِ منهُ والغايةِ في الخارجِ وتساوي بين الطَّرفينِ . فادِّعاءُ حصولُ الظَّنِّ من الكتابِ والسُّنَّةِ على خلافِ الأصلِ ؛ لأنَّ الأصلَ وضعُ الخبرِ لإفادةِ العلمِ بما يكونُ لنسبتِهِ خارجٌ في أحدِ الأزمنةِ الثَّلاثةِ ، فهو بهذا الاعتبارِ علمٌ، وباللِّحاظِ الإطلاقيِّ شكيٌّ ؛ فدعوى أمَّةِ الظَّنِّ حصولُ المظنَّةِ على خلافِ مقتضى اللِّحاظينِ بخلافِ دعوى أهلِ العلمِ ؛ وأنَّهُ موافقٌ للأصلِ بالاعتبارِ الأوَّلِ ، هذا معَ أنَّ بينَ الخبرِ وبينَ الكتابِ والسُّنَّةِ عموماً وخصوصاً من وجهٍ.

[في أنَّ دلائلَ الأنبياءِ ومعاجزَهم تُثبِتُ النُّبوَّةَ المطلقةَ]

ثُمَّ اعلمْ إنَّ سائرَ الأنبياءِ والأولياءِ لـمَّا كانت نبوَّاتُهم وموالاتُهم مطلقةً ؛ كانت دلائلُهُم ومعاجزُهُم مطلقةً ، وقد رُوِيَ بها ألفُ دلالةٍ عن نبيِّنا ـ صلَّى اللهُ عليهِ وآلِهِ ـ؛ وكذلكَ عن أئمَّتِنَا الطَّاهرِينَ ـ صلواتُ اللهِ وسلامُ اللهِ عليهِم أجمعينِ ـ؛ وهيَ إنَّما تثبتُ النُّبوَّةَ المطلقةَ .

[القرآنُ والسُّنَّةُ معجزةُ النُّبوَّةِ الخاتمةِ والولايةِ الباقيةُ]

وأمَّا **نبوَّةُ نبيِّنَا الحتميَّةِ** المؤيِّدةِ شريعتنا ، وكذلكَ ولايةِ أئمَّةِ أئمَّتِنا المؤيِّدةِ ؛ فلابدَّ لهَا من دلالةٍ ومعجـزةٍ مؤيِّدةٍ تبقى ببقاءِ التَّكليفِ والشَّريعةِ وهيَ الكتابُ والسُّنَّةُ .

والقرآنُ معجزةٌ مؤيِّدةٌ باقيةٌ ببقاءِ القرآنِ يدلُّ باعتبارِ أسلوبِهِ **أوَّلاً** ، وباعتبارِ تضمُّنِهِ تصحيحَ منَ الأخبارِ الماضيةِ **ثانياً** ، لصدقِ مخبرِهِ في كثيرٍ منَ الأخبارِ الآتيةِ **ثالثاً** ، ولتأثيراتِهِ العجيبةِ في شفاءِ الأمراضِ والأسقامِ **رابعاً** ، وبعجزِ المتصدِّينَ لنقضِهِ في مدَّةٍ مديدةٍ يزيد على ألفٍ ومئتَينِ وأربعينَ **خامساً** .

وأمَّا **التَّرتيبُ** على طولِ التَّنزيلِ ؛ فلم يكن معجزةً ؛ ولذا اختلفَ نظمُ ما جمعهُ إمامُ العارِفِينَ أميرُ المؤمنينَ عليه السلام على التَّرتيبِ النُّزوليِّ ونظمِ ما جمعَـهُ ابنُ مسعودٍ ، وما جمعَهُ أُبيٌّ ، وما جمعَهُ زيدُ بنُ ثابتٍ ورَّوجَهُ ثالثُ الخلفاءِ .

والسُّنَّةُ معجزةٌ مؤيِّدةٌ لنبيِّنا وأمناءِ عترتِهِ ـ عليهمُ السَّلامُ ـ ؛ فإنَّها تضمَّنت منَ الخطبِ والأدعيةِ والآدابِ والأحكامِ والحِكَمِ والمواعظِ والعِبَرِ والقصصِ والأمثالِ والأخبارِ الماضيةِ والآيةِ والعُوَذِ والرُّقي والاحتجاجاتِ والحقائقِ والمعارفِ ما لا يكادُ يوجدُ في أسفارِ الأنبياءِ الماضينَ ؛ وهوَ أحدُ معاني قولِهِ عليه السلام (١) : **« عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَـاءِ بَنِي إِسْرَائِيْـلَ »** .

(١) غوالي اللَّآلي : ج٤ : ص٨٧ : ح٦٧ وعنهُ في البحارِ : ج٢ : ص٢٣ : ح٦٧ وقالَ الحرُّ في الفوائدِ الطُّوسيَّةِ: ص٣٧٦: فائدة ٨٥ : ((لا يحضرني أنَّ أحداً من محدِّثينا رواهُ في شيءٍ منَ

[في أنَّ احتمالَ الدَّسِّ غير ضارٍّ بعدَ تميُّزِ المتونِ ومعرفةِ الطُّرقِ]

واحتمالُ دسِّ المدلِّسينَ في الكتابِ والسُّنَّةِ معَ معرفةِ طرقِ القرَّاءِ والمفسِّرينَ والمشايخِ والمحدِّثينَ في كلِّ قرنٍ وطبقةٍ خلفاً عن سلفٍ فيهَا ؛ فليسَ بضارٍّ أصلاً ، ولقد ظفرنا بسورٍ موضوعةٍ وآياتٍ ناقضوا بها القرآنَ ؛ وكذا بأحاديثَ موضوعةٍ مشكَّسةِ الألفاظِ مما جعلهُ جهلةُ الصُّوفيَّةِ من العامَّةِ ، والعبَّادُ من الحشويَّةِ والغلاةِ منَ الشِّيعةِ ـ خذلَهُمُ اللهُ تعالى ـ ، فكما أنَّ أشعارَ عامَّةِ النَّاظمِينَ لا تشبهُ شيئاً من أشعارِ الشَّيخِ مصلحِ الدِّينِ السَّعدي في لغةِ الفرسِ ، وكذلكَ أشعارَ عامَّةِ الشُّعراءِ [لا تشبهُ] منظوماتِ السَّيِّدِ الحِمْيَريِّ ، وكذلكَ سائرَ تصنيفاتِ المصنِّفينَ المكاشفينَ لا تشبهُ طورَ تصانيفِ محي الدِّينِ عندَ الماهرينَ ، ولا تشبهُ صنوفَ الجواهرِ الحقيقيَّةِ والفلِزَّاتِ المعدنيةِ شيئاً منَ الجواهرِ المصنوعةِ والفلزَّاتِ المعالجةِ ؛ فكذلك معرفة الكتابِ والسُّنَّةِ مَلَكَةٌ إلهيَّةٌ لا يشبهُ معَهَا شيءٌ من الأباطيلِ عندَ أهلِهِ بشيءٍ منها .

الكتبِ المعتمدةِ نعم نقلهُ بعضُ متأخِّرينا في غيرِ كتبِ الحديثِ وكأنَّه من رواياتِ العامَّةِ أو موضوعاتِهم)) ، وذكرَ وجوهاً في معناه أغلبها أنَّ المرادَ بالعلماءِ همُ الأئمَّةِ عليهم السلام وأوردهُ الفتنيُّ في الموضوعاتِ : ص ٢٠ وقالَ : ((قالَ شيخنَا الزَّركشي لا أصلَ لهُ ، ولا يعرفُ في كتابٍ معتبرٍ)) .

[خاتمةٌ]

قل لا يستوي الظُّلماتُ والنُّورُ ولا الظِّلُّ ولا الحرورُ[١] .

والحمدُ للهِ الَّذي جَعَلَ **« عَلَى كُلِّ حَقٍّ حَقِيْقَةً ، وَعَلَى كُلِّ صَوَابٍ نُوْرًا»** [٢]

فما لا نورَ لهُ فلا حقيقةَ لهُ ؛ فهوَ كلامُ الشَّيطانِ ؛ وكما لا يشبهُ الحقُّ الخلقَ ظاهراً وباطناً ، ولا يشبهُ كلامِ الحقِّ شيءٌ من كلامِ الخلقِ ، وكما لا يشبهُ أمناءُ اللهِ الصَّادقِينَ شيءٌ من المدَّعِينَ الكاذبينَ ؛ فكذلكَ لا يشبهُ كلامُ المعصومِينَ شيءٌ من مزخرفاتِ المُدَلِّسينَ ، ولولا ذلكَ كذلكَ لَما عُرِفَ حَقٌّ مِنْ باطِلٍ ؛ وللغى قولُ أصدقِ القائلِينَ ـ تعالى شأنهُ ـ : ﴿ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾[٣] .

نعمْ هذِهِ سبيلُ الخاصَّةِ مِنَ الخواصِّ وَخُلَّصِ النَّاسِ ؛ ولا يتيسَّرُ سلوكُهَا لكلِّ وحشيٍّ وخنَّاسٍ .

****

(١) اقتبسهُ من آية **١٦** من سورةِ الرَّعدِ : (أَم هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورِ) ، وآية **٢١** من سورةِ فاطرٍ : (وَلَا الظِّلُّ وَلَا الحَرُوْرُ) .

(٢) رواهُ البرقيُّ في المَحاسنِ : ج**١** : ص**٢٢٦** : باب **١٤** حقيقةِ الحقِّ : ح**١٥٠** عن السَّكونِّي عن الصَّادقِ عليه السلام عن آبائهِ عليهم السلام عن عليٍّ عليه السلام وكذا في الكُلينيُّ في الكافي : ج**١** ص**٦٩** : بابُ الأخذِ بالسُّنَّةِ وشواهدِ الكتابِ : ح**١** لكن فيهِ عن عليٍّ عليه السلام عن رسولِ اللهِ صلى الله عليه وآله .

(٣) سورةُ يونسَ : الآيةُ **٣٥** .

[تاريخُ فراغِ التَّحقيقِ]

ووقعَ الفراغُ منهَا ـ صفّاً وضبطاً ووتنسيقاً وتهميشاً وتصحيحاً ـ في صبيحةِ السَّبتِ الرَّابع عشر من ذي القعدةِ سنة ألفٍ وأربعِ مئةٍ وتسعٍ وثلاثينَ (**١٤/ ١١/ ١٤٣٩**) من الهجرة النَّبويَّةِ بجوارِ مرقدِ أبي الفضلِ العبَّاسِ عليه السلام في كربلاءَ المقدَّسةِ ـ على ساكنِها أفضلُ التَّحيةِ والسَّلامِ بيدِ **أبي الحسنِ عليِّ بنِ جعفرِ بنِ مكيٍّ آلِ جسَّاسٍ** .

المحتويات

****